راكح بين المشروع الصهيوني والمشروع الوطني الفلسطيني

أحمد شاهين

من المميّزات الخاصة للكيان الصهيوني ظاهرة كثرة الحركات والاحزاب السياسية، سواء في ذلك ما ظهر منها على شكل حركات سياسية، أو دينية. ففي وسط الخارطة، ويسارها، نجد، على سبيل المثال، احزاب العمل ومبام وشينوي وراتس وتيلم؛ وعلى يمينها الاحرار وحيروت وهتحياه وكاخ وتسومت، والاحرار أنفسهم أكثر من حزب. أما بالنسبة الى الاحزاب الدينية، فهناك المفدال وتامي وشاس وموراشاه واغودات يسرائيل وبوعالي اغودات يسرائيل، الخ. كما ان من الظواهر المألوفة في الاوساط السياسية الاسرائيلية ظاهرة تشكيل احزاب جديدة، أو الانتقال من حزب الى آخر؛ على سبيل المثال، ظاهرة تشكيل حركة داش، او انتقال موشي دايان من المعراخ الى الليكود، ثمّ تشكيله حزباً خاصاً به اسماه «تيلم». ومن الاحزاب الجديدة «القائمة التقدمية للسلام» التي شكلها صهيونيون بالائتلاف مع مجموعة عربية من فلسطينيي ١٩٤٨، واحتلت في الكنيست الحادي عشر مقعدين؛ والحزب العربي الديمقراطي الذي شكله عبدالوهاب دراوشة أخيراً. وباستثناء العرب في «القائمة التقدمية...»، تتفق جميع هذه الاحزاب الصهيونية على ضرورة الحفاظ على دولة اسرائيل، وأمنها، وتشجيع الهجرة اليهودية اليها، وتأتلف فيما بينها، أو تختلف، دون الالتفات الى الايديولوجيا، او الموقع الذي تمثّله في الصراع الاجتماعي، حيث يفرض الائتلاف والخلاف الهدف القومي للدولة الاسرائيلية، أساساً، وليس غيره. ومن الملاحظ ان اسرائيل خاضت جميع حروبها باجماع حزبي، سواء عبر ائتلاف داخل السلطة الحاكمة، او بتأييد اجماعي داخل الكنيست، كما حصل في حالة غزو لبنان العام ١٩٨٢؛ واختلفت فيما بينها على الاهداف السياسية للحرب، على أساس ما يراه كل منها الافضل لمصلحة اسرائيل.

يشذّ عن هذا النسيج العجيب الحزب الشيوعي الاسرائيلي (راكح). فهو، أولاً، ليس حزباً صهيونياً؛ كما انه يعارض، بشدة، التطرف القومي اليهودي، وله رؤية مختلفة عن الاحزاب الاخرى كافة، سواء في حل المسألة اليهودية، أو في حل مشكلة استمرار وجود اسرائيل. وقبل التعرّف على وضع الحزب، لا بد من مدخل تاريخي لفهم التطورات الفكرية، والسياسية، التي مرّ بها الحزب الشيوعي الاسرائيلي؛ اذ لم يكن، نفسه، محصناً ضد التأثيرات الصهيونية القومية؛ كما تعرّض لضغوط قومية عربية من عناصره العربية، أيضاً. وهذه ليست ظاهرة غريبة في تاريخ الحركة الشيوعية العالمية. فمن يتابع الادب الشيوعي يجد في تاريخ الحركة الشيوعية العالمية الكثير من ظواهر «النكوص القومي»، كما تسمّى في الادبيات الماركسية، باعتبار ان الماركسية حركة عالمية أممية، و«النكوص» نحو القومية في الأدب الماركسي يشكّل ارتداداً نحو المواقع البورجوازية.